المحاضرة الرابعة عشر: تأثير الصوت على تجسيد الفضاء الدرامي وبناء المعنى

الصوت في السينما:

الصوت في السينما يُعد أحد العناصر الأساسية التي تسهم في بناء الفضاء الدرامي وتعميق التجربة البصرية والفكرية للفيلم. فهو ليس مجرد أداة لإضافة المؤثرات الصوتية، بل عنصر جمالي وفني يؤثر في السرد ويعزز من تأثير الصورة. الصوت في السينما يشمل كل شيء من الحوار، والموسيقى التصويرية، إلى المؤثرات الصوتية التي قد تكون واضحة أو خفية في تكوينها. يُمكن للصوت أن يكون أداة درامية تُعبّر عن حالات نفسية للشخصيات، أو أداة تضخيم للواقع المادي، أو حتى يساهم في تقديم رموز ودلالات غائبة عن العين المجردة.

ومن خلال تطور التقنيات الصوتية في السينما، أصبح المخرجون قادرين على خلق مؤثرات صوتية تُعبر عن التوتر، الراحة، الخوف، أو حتى الفوضى التي قد تكون غائبة عن الصورة نفسها. الصوت في السينما، إذًا، هو أكثر من مجرد تجميل أو إضافة للأحداث، بل هو جزء لا يتجزأ من تركيب القصة وعامل رئيسي في تشكيل مشاعر المشاهدين. من هنا، تبرز أهمية الصوت كمركب أساسي من مكونات الفيلم السينمائي[24].

أنواع الصوت في السينما:

1. **الصوت الطبيعي(Diegetic Sound)** :

يُعرَف الصوت الطبيعي في السينما بالصوت الذي ينبع من داخل العالم الروائي للفيلم. هذا النوع من الصوت يُسمع من قبل الشخصيات والمشاهدين على حد سواء. يشتمل هذا على الحوار، الأصوات المحيطية، والأصوات التي تتوافق مع الأحداث الحاصلة في المشهد.

مثال :في فيلم (2007) *No Country for Old Men*للمخرجين **جويل وإيثان كوين**، يُستخدم الصوت الطبيعي بفعالية لخلق التوتر. على الرغم من قلة الحوار في بعض المشاهد، فإن الأصوات المحيطية مثل الرياح أو أصوات القناصة تساهم في بناء إحساس بالفزع والترقب. تظل الأصوات هذه هي الأداة الوحيدة التي تلامس إحساس المشاهد، حيث تكون غائبة عن الصورة نفسها.

2. **الصوت غير الطبيعي(Non-Diegetic Sound)** :

الصوت غير الطبيعي هو الصوت الذي لا ينبع من عالم الفيلم. يشمل ذلك الموسيقى التصويرية، والتعليق الصوتي، وأي مؤثرات صوتية تُضاف لتعزيز تأثير الفيلم العاطفي أو الفكري.

مثال :في فيلم (1975) *Jaws*للمخرج **ستيفن سبيلبرغ**، يستخدم الصوت غير الطبيعي بشكل بارع لخلق حالة من التوتر. لحن "جون ويليامز" المميز يعزز من الخوف الذي يشعر به المشاهد عند اقتراب سمك القرش. الصوت هنا لا يأتي من العالم الدرامي للفيلم، ولكنه يساهم في تهيئة جو من التوتر والتوقع.

3. **الصوت الداخلي(Internal Sound)** :

الصوت الداخلي هو صوت يُسمع من داخل ذهن الشخصية. قد يتخذ هذا الصوت شكلًا من أشكال الأفكار أو التأملات الداخلية للشخصية، ويمكن أن يُستخدم لتمثيل الصراع النفسي الداخلي للشخصيات.

---

[24] يوسف كريم، *السينما والصوت: تأثير الصوت في السرد السينمائي*، الطبعة الثانية، 2016، القاهرة: دار الطيف، ص. 134.

مثال :في فيلم (1999) *Fight Club*للمخرج **ديفيد فينشر**، يُستخدم الصوت الداخلي للشخصية الرئيسية (التي يؤديها **إدوارد نورتون** (بشكل مكثف. الصوت الداخلي في هذا الفيلم يُستخدم بشكل مميز لنقل مشاعر الشخصية المعقدة، مما يسمح للمشاهدين بأن يشعروا بصراع الشخصية الداخلي وتغيراتها النفسية.

تأثير الصوت على الفضاء الدرامي:

1. **الخلق الجوي للفيلم**:

يمكن للصوت أن يعزز الجو العام للفيلم ويُضفي عليه طابعًا خاصًا. في بعض الأحيان، يُستخدم الصوت لتعبير عن حالة نفسية أو شعور متزايد بالتهديد. المؤثرات الصوتية مثل الرياح، الأمطار، أو أصوات الآلات في الخلفية قد تكون مدمجة في تركيب المشهد لتجسيد حالة درامية معينة.

مثال :في فيلم (2017) *Blade Runner 2049*للمخرج **دينيس فيلنوف**، يمكن للصوت أن يُستخدم لتوضيح الفجوة بين الإنسان والآلة في عالم مستقبلي. الموسيقى المميزة لـ "هارولد فولترماير" و"بن ولفيش" تُستخدم لخلق جو من العزلة والضياع في مدينة مستقبلية غارقة في الضباب والضوء الخافت، ما يعزز إحساس المشاهد بالعزلة والغربة.

2. **الصوت كأداة لخلق التوتر والقلق**:

يُستخدم الصوت بشكل رئيسي لتضخيم مشاعر التوتر والقلق في الفيلم. في أفلام الرعب والإثارة، يعمل الصوت كأداة لخلق التوقعات، وتوجيه المشاهد نحو الشعور بالذعر أو الارتباك.

مثال :في فيلم (2018) *A Quiet Place*للمخرج **جون كرازينسكي**، يتم التحكم في استخدام الصوت بشكل استثنائي. بما أن الشخصيات في الفيلم تحتاج إلى الحفاظ على الهدوء في مواجهة مخلوقات تصطاد بناءً على الأصوات، فإن أي صوت يُسمع يصبح ذا مغزى ويمثل تهديدًا كبيرًا. في هذا الفيلم، يصبح الصمت ذاته هو أداة السرد، حيث يُستخدم الصوت بشكل مبتكر لخلق مشهدية فريدة.

3. **الصوت كبناء للواقع السينمائي**:

بالإضافة إلى كونه أداة لخلق الأجواء والمشاعر، يستخدم الصوت لبناء واقع الفيلم السينمائي نفسه. فكل صوت يُضاف للفيلم يمكن أن يعزز فهم المشاهدين للعالم الذي يعايشه الفيلم.

مثال :في فيلم (2010) *Inception*للمخرج **كريستوفر نولان**، يتم استخدام الصوت بشكل قوي لتوضيح طبقات الواقع. موسيقى "هانز زيمر" الشهيرة تُضاف لإظهار تداخل الزمن والأبعاد المختلفة، كما أن الأصوات الميكانيكية التي ترافق تحركات الشخصيات تُعزز من الشعور بوجود عالم متعدد الأبعاد.

تأثير الصوت على الشخصيات:

1. **الصوت كمرآة للشخصية**:

الصوت يمكن أن يعكس الاضطراب النفسي لشخصية معينة. قد تُستخدم تغييرات في درجة الصوت أو سرعة الحديث لتعكس حالة تفاعلات الشخصية مع الأحداث المحيطة.

مثال :في فيلم (2000) *Requiem for a Dream*للمخرج **دارين أرونوفسكي**، يُستخدم الصوت لتمثيل تدهور صحة الشخصيات النفسية والجسدية بسبب إدمان المخدرات. تنخفض جودة الصوت وتُستخدم مؤثرات صوتية حادة لتجسيد الهلاوس والضياع الداخلي، مما يخلق تأثيرًا قويًا على مشاعر المشاهدين.

2. **الصوت كأداة للارتباط العاطفي**:

الصوت يمكن أن يُستخدم ليعزز الارتباط العاطفي بين المشاهد والشخصيات. في بعض الأفلام، قد تكون أصوات الشخصيات أو كلماتهم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعواطف الداخلية التي يشعرون بها، مما يعزز من الرابطة العاطفية بين المشاهد والشخصية.

مثال :في فيلم (2006) *The Pursuit of Happyness*للمخرج **غابرييل موشينو**، يساهم الحوار والصوت في بناء الرابط العاطفي بين الشخصية الرئيسية (التي يؤديها **ويل سميث** (وابنه. الصوت هنا يُظهر الألم الداخلي والشغف الذي يدفع الشخصية للاستمرار في مواجهة التحديات.

تظهر أهمية الصوت في السينما ليس فقط كأداة لإضافة الواقعية، بل كعنصر يتفاعل مع الصورة لتعزيز الأثر الدرامي والإنساني للفيلم. من خلال الصوت، يتمكن المخرج من إضافة طبقات إضافية من المعنى والرمزية، مما يساهم في تعميق الفهم العاطفي والتصور الذهني للمشاهد. الصوت يمكن أن يخلق التوتر، يعكس الصراع الداخلي للشخصيات، ويضفي أبعادًا جديدة على الأحداث من خلال المؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية. وعليه، يعد الصوت مكونًا أساسيًا من عناصر تركيب الفيلم الذي لا يقل أهمية عن الصورة نفسها[25].

[25] سامية رشيد، *السينما والصوت: دراسة في التفاعل بين الصورة والصوت*، الطبعة الثالثة، 2018، بيروت: دار الفنون السينمائية، ص. 198.